

(مقتطفة .... وموقف)

عدد يناير 1984 - مجلة الإنسان والتطور "عن الإبداع والموقف الخلقى (والإلتزام)"



[yehiatrakhawy@hotmail.com](mailto:yehiatrakhawy@hotmail.com)

نشرة "الإنسان" 2019/03/04

السنة الثانية عشرة - العدد: 4202

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

### مقدمة:

لعلها فرصة حقيقية ونحن نبحت عن تاريخ وأصول هذا الفكر العربي المصرى البسيط أن نرجع إلى المجلة الفصلية الأم الإنسان والتطور وننتقى منها بعض معالم هذا الفكر، وخاصة فيما يتعلق بتنمية الموقف النقدى، الذى ظل جليا من أول عدد من مجلة "الإنسان والتطور" (يناير 1980) مثلا فى باب جديد باسم "نقرأ معا مرة ثانية: مقتطف وموقف" حيث كنا نختار نصا، ثم نقرأه معاً، بحروف مكتوبة، ثم ندعو للحوار، هذا وقد آن الأوان أن أعلن أنني شخصيا كنت مسئولاً عن هذا الباب مسئولية كاملة - بلا توقيع - طوال عمر المجلة.

\*\*\*\*\*

مقتطف من مجلة الإنسان والتطور الفصلية (1980 - 2001)

(مقتطف .... وموقف) عدد يناير 1984 - مجلة الإنسان والتطور

عن الإبداع والموقف الخلقى (والإلتزام)

المقتطف:

يقول أستاذنا د. حسين مؤنس (1)

"... ولا يقل هنا أحد: ولكن جريراً أبداع فى النسيب، والفرزدق تجلى فى الصورة والأخيلة، وعمر بن أبى ربيعة تلاً فى الغزل فأقول لك: والله ما كنا بحاجة إلى نسيب جريبر إذا صدر عن قلب مريض، ولا إلى صور الفرزدق إذا طلعت من نفس هزيلة ولا إلى غزل ابن أبى ربيعة إذا جاء من قلب خلى جعل الحياة ضحكة وذيل امرأة وخذ أخري"

الموقف:

ونقف لنقول، بل نحن أحوج ما نكون إلى كل ذلك حتى لو صدر عن كل ما ذكر، وهذا المقتطف "وما حوله" يثير عدة قضايا فى آن واحد: القضية القديمة حول موضع الفن للفن أم للمجتمع والقضية الثانية حول علاقة سلوك المبدع الشخصى وموقفه الأخلاقى وربما السياسى بإبداعه والقضية الثالثة حول

كنا بحاجة إلى نسيب جريبر  
إذا صدر عن قلب مريض،  
ولا إلى صور الفرزدق إذا  
طلعت من نفس هزيلة ولا إلى  
غزل ابن أبى ربيعة إذا جاء  
من قلب خلى جعل الحياة  
ضحكة وذيل امرأة وخذ  
أخري" (حسين مؤنس)

بل نحن أحوج ما نكون إلى  
كل ذلك حتى لو صدر عن  
كل ما ذكر

أن الإبداع لا ينبغى أن يقاس  
إلا بالإبداع (2)، فالإبداع  
دائماً "للحقيقة" (لا للفن ولا  
للمجتمع، إلا فى المقام  
الثانى)، فهو "كشوة" للداخل  
والخارج،

إن وظيفة الإبداع الأولى هي  
هذه التنمية المثابرة للوعي  
المتجدد..

ثبات موضوع الإبداع، وخاصة في الشعر ومعنى التناقض والتقلب عند الشاعر.

أما القضية الأولى فقد إستهلكت، حين سادت قيم إشتراكية مسطحة: رجحت كفة "الفن للمجتمع" حتى كاد يصبح الفن خطبا رسمية ونصائح وإرشادات تلبس ثوب جمال مصطنع، وحين راجع الناس فشل كل شيء (ومن بينهم مراجعات د. حسين مؤنس في سلسلة مقالاته الأسبق في نفس المجلة) كدنا نتبين - ضمنا - أن الإبداع لا ينبغى أن يقاس إلا بالإبداع (2)، فالإبداع دائما "للحقيقة" (لا للفن ولا للمجتمع، إلا في المقام الثاني)، فهو "كشف" للداخل والخارج، أو للخارج "في الداخل" إلى الخارج، وبالتالي فهو "إضافة" إلى مساحة الوعي أبدا، وبألفاظ أخرى: إن وظيفة الإبداع الأولى هي هذه التنمية المثابرة للوعي المتجدد.. ومن ثم فسوف يصب الوعي الحافز المثار في فعل التغيير الحقيقي سعيا إلى حياة أعمق على مساحة أوسع: بما يشمل تغيير السياسة ونوع الوجود والدنيا أجمع، وحتى الإبداع العاجز صاحبه حمل مسؤوليته لا يعجز "هو" عن أداء رسالته، والقلب المريض والنفس الهزيلة والقلب الخلى لا تفرز إبداعا أصلا، اللهم إلا إذا كانت هذه الصفات المعنية هي صفات أخلاقية لا جمالية، إذا كانت الأخلاق تقاس بمقاييس مفروضة على الوجود البشرى من خارجه، بناء عن موقف سياسي، أو عن قيم ثابتة لعرف شائع (خائف في العادة)، وطوال المقال نشعر شجبا مطلقا لبنى معاوية حتى نتصور أن كل ما قال فيهم مدحا وما شابهه لا بد وأن يطرد من حقل الإبداع مهما كانت "طبقتة" بين فحول الشعراء مثلا، ولا ندخل هنا في مناقشة خطورة التوقف بتاريخ الإسلام المشرق حتى قبل "أمية" فحسب، فهذا زعم خطير إستدرجنا إليه من خلال محاولات تشويه خفية بلغت حد السرقة لإنجازات أمة عظيمة، رغم ظاهر فساد بعض حكامها، وحين كنا أطفالا كنا نحسب التشيع هذا ونستسهله، وحين إستمعنا لأول مرة إلى دفاع موضوعي عن بنى أمية ومن بعدهم (3) رفضنا أن نحترم أوهامنا، ثم رويدا رويدا إستطعنا أن ندرك كيف يجب أن نستوعب العصر "بكل ما هو" وليس بظاهر ما نميل إليه،

ونقطة أخرى: إذ يبدو أنه لا يصح أن نرفض المديح الذي أشتهر به الشعراء في عصر يختلف عن عصرنا هذا، حتى لو لم يكن المادح يؤمن بما يقول، إذ يبدو - كما ظهر جليا في مقال أستاذنا - أن المدح حينذاك كان بمثابة "أوراق إعتقاد" الشاعر، ليقول بعد ذلك ما يريد أن يقول، لأننا لو انسقنا وراء التعميم المخل الذي يرفض عبقرية مبدع لمجرد أنه "إضطر" (أو غير ذلك) إلى مدح من لا نحب أو إلى إظهار ما نخفى عن أنفسنا، فقد نرفض فحولا هم بمثابة أعضاء حسنا الفكرى عبر التاريخ (مثل المتنبي) أو أمرؤ القيس - غير من ذكر المقال)، أما تقلب الشاعر قديما من مديح نفس الشخص إلى نمه فهو أمر قبيح فعلا بقيم عصرنا الخلقية (إن كان ثمة قيما خلقية حقيقية في عصرنا)، ولكنه قد يكون غير ذلك في عصر آخر، تقاس فيه الأفعال و "شروط البقاء" و "حق القول" بمقاييس أخرى والشاعر بالذات، وهو يعيش القهر الداخلي لحتم القول، والجوع المطلق لمن يسمعه: (يقبله أو يرفضه: سواء)، قد يدفع أي شيء، نعم أي شيء، في سبيل أن يقول فيسمع (بضم الياء)، فإذا قلنا (من منطلق أخلاقي محدود) أن هذا ليس هو المثل الذي ينبغى أن يحتذيه أبناؤنا مثلا، وافقنا على ذلك، لكن من الذي جعل وظيفة الشاعر هو أن يحتذى في سلوكه؟؟ الشاعر وعى متحرك، واكتشاف مغامر، ونغم متجدد، والباقي هو وظيفتنا نحن، ولو أخذنا أمثلة من الشعر المبدع النائر الذي قاله من شجبهم المقال لما إنتهى "الموقف"، ولكننا نكتفى بأن نذكر بأن الشجاعة (مثلا) ليست فقط في موقف الخوارج السياسي والديني (وإن كانوا من أشجع الشجعان)، وإنما هي أيضا وربما قبلا، في الخروج عن المألوف "إلى أعلى" (وأحيانا إلى أسفل، فالأسفل قد يؤدي إلى الأعلى)، وعمر بن أبي ربيعة حين يعلن "حاجته" لأن تستبد به "هند" ولو مرة واحدة "وإستبدت مرة واحدة" إنما العاجز من لا يستبد" لا يعلن ضعفه أو خنوته بحاجته إلى امرأة قوية تقول "لا" أو تأمر أو تقتحم (بكسر الحاء)، وإنما يعلن شجاعته التي ظهرت في قدرته على إعلان طفولته الداخلية وأنوثته المبدعة التي لا تكتمل العلاقة الخلاقة في الحب والجنس والإبداع إلا بالإعتراف بها "كجزء من كل" وليس كبديل عن مظهر عكسها، ومن ذا غير شاعر "يجرؤ" أن "يعلن" ذلك، ومن

حتى الإبداع العاجز صاحبه  
من حمل مسؤوليته لا يعجز  
"هو" عن أداء رسالته

لا يصح أن نرفض المديح  
الذي أشتهر به الشعراء في  
عصر يختلف عن عصرنا هذا.  
حتى لو لم يكن المادح يؤمن  
بما يقول

أن المدح حينذاك كان  
بمثابة "أوراق إعتقاد"  
الشاعر، ليقول بعد ذلك ما  
يريد أن يقول

لا تكتمل العلاقة الخلاقة في  
العبء والجنس والإبداع إلا  
بالإعتراف بها "كجزء من كل"  
وليس كبديل عن مظهر  
عكسها

من ذا غير شاعر "يجرؤ" أن  
"يعلن" ذلك، ومن يهدد  
ضعف الرجال المختبى في  
مبالغته قسوتهم المدعاة إن  
لم يكن هو الشاعر، وقد تصل  
هذه الشجاعة ببعض الشعراء  
إلى التضحية بحياتهم في سبيل  
كلمتهم، كما كانت نهاية  
بشار

هذا الموقف الأخلاقي الجامد  
قد امتد إلى ما ينشر من  
تراثنا التقليدي، فحذرت من

أغلب الدواوين ألفاظ  
وشطور وأبيات تحت عنوان  
”حذف ما يخدم الحياء“،  
حياء من يا سادتي؟

لا يستقيم معنى أو تبلغ رسالة  
إلا إذا قال صاحبها قوله  
بلفظه الأصلي وعلينا نحن أن  
ندرب حياءنا لنرتقى به  
فنعرف أنه لا يخدم الحياء إلا  
”القبح“ و”الإفغال“  
و”التعصب“

أن نصبح أوصياء على نص ما  
جاء في تراثنا العظيم، فهذا ما  
أعتقد أنه لا يخدم في أي  
أمة تحترم نفسها وتاريخها  
وتنمي خلقها كما ينبغي أن  
ينمو = في اتجاه ”الحقيقة“  
أبدا.

يهدد ضعف الرجال المختبى في مبالغات قسوتهم المدعاة إن لم يكن هو الشاعر، وقد تصل هذه  
الشجاعة ببعض الشعراء إلى التضحية بحياتهم في سبيل كلمتهم، كما كانت نهاية بشار بن برد وغيره  
كثير.

ومن أسف أن هذا الموقف الأخلاقي الجامد قد امتد إلى ما ينشر من تراثنا التليد، فحذفت من أغلب  
الدواوين ألفاظ وشطور وأبيات تحت عنوان ”حذف ما يخدم الحياء“، حياء من يا سادتي؟، ان تسمية  
الأشياء بأسمائها لا يخدم إلا حياء الأطفال الذين شوهناهم بخوفنا، ولا يستقيم معنى أو تبلغ رسالة إلا  
إذا قال صاحبها قوله بلفظه الأصلي وعلينا نحن أن ندرب حياءنا لنرتقى به فنعرف أنه لا يخدم الحياء  
إلا ”القبح“ و”الإفغال“ و”التعصب“، أما أن نصبح أوصياء على نص ما جاء في تراثنا العظيم، فهذا ما  
أعتقد أنه لا يحدث في أي أمة تحترم نفسها وتاريخها وتنمي خلقها كما ينبغي أن ينمو = في اتجاه  
”الحقيقة“ أبدا.

إذن - مع الاعتذار لأستاذنا الكريم وليسمح لنا بالإختلاف - فنحن في أشد ”الحاجة“ إلى كل هؤلاء  
ومثلهم وغيرهم، بكل ما هم، ولا ينبغي أن نفرط في بيت شعر واحدا (مثلا) قاله أحدهم فدفن ثمنه مغامرة  
وتحديا، فأضأ به عقلا وأفسح وعيا، حتى لو لم يقل غيره سوى مئات من قصائد المديح والهجاء والتهريج  
وما إلى ذلك (مما هو ليس كذلك تماما).

هوامش

- [1] - أكتوبر، العدد 373 - الأحد 18 ديسمبر (كانون أول)  
1983 ”المفكر والمتسول والنديم والمهرج والمعلم“ ص 28.
- [2] - أفضل هنا - وفيما بعد - إستعمال كلمة الإبداع عن  
كلمة ”الفن“ وإن تبادلا بعد مذكرا أن ثمة فرقا لا وجه  
لتفصيله حالا.
- [3] - من أستاذنا محمود نجح شاعر مثلا.

إرتباط كامل النص:

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD040219.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD040219.pdf)

\*\*\* \*\* \*

## شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيقا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

\*\*\* \*\* \*

الكتاب السنوي 2019 1 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار السادس)

الشبكة تطفيئ شمعها الثامنة عشر وتدخل عامها التاسع عشر من التأسيس

18 عاما من الكبح... 15 عاما من العطاء "

( التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13 )

(رابط الكتاب)

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>